

## خسارة الحرب على المخدرات

باتريك باشام

مركز كاتو

7 أبريل 2010

## The War on Drugs Is Lost

By Patrick Basham

Cato Institute

ترجمة: علي الحارس



باتريك باشام

- باحث في مركز كاتو.
- مدير ومؤسس مركز الديمقراطية (Democracy Institute).
- باحث في مركز فريزر (Fraser Institute) الكندي (سابقاً).

تتماثل حرب روسيا على المخدرات مع شقيقتيها في أمريكا وبريطانيا في النتيجة التي آلت إليها: الفشل. إذ يشير تقرير بثته محطة (BBC) مؤخراً إلى أن روسيا وقعت دون شك في هاوية كارثة الهيروين، حيث يوجد 2.5 مليون روسي مدمن على هذه المادة المخدرة، وسيشهد العام الحالي وفاة 30 ألف منهم.

لماذا انتهت الحرب على المخدرات إلى الهزيمة؟ إن هذه الهزيمة تعكس فشلنا في التعلم من التاريخ؛ فحظر المخدرات يمتلك كافة خصائص البرامج الحكومية ذات النية الحسنة والمحصلة السلبية. ويمكن القول على نحو أكثر تخصيصاً: إن الحرب على المخدرات تؤدي إلى الجريمة، وتبعث الفساد في أوصال أجهزة الشرطة، وتنتهك الحريات المدنية، وتنفق مالا جيداً على عناصر سيئة، وتضعف العائلات والضواحي والتجمعات، بل وتدمرها.

من النادر أن نجد الدولة تفكر على نحو جاد بسياستها إزاء المخدرات، فهي تفضل بدلاً من ذلك أن تتبع أي نوع من أنواع الفشل المقترحة خلال الأزمة الأخيرة، وهذا التفكير

## خسارة الحرب على المخدرات

التقليدي لم يؤد إلا إلى تعزيز الجريمة المنظمة، وفساد الدولة، وعرقلة العناية الطبية بالمدمنين، والمساهمة في تضخم المؤسسة القانونية العقابية. وبالمحصلة: تم تجاهل الفطرة السليمة والخبرة، وأعيد ارتكاب الأخطاء نفسها. وتحولت الحرب على المخدرات إلى حرب على العقل نفسه.

إن كافة الشواهد المتاحة، الأكاديمية والعلمية والتجارب الحياتية، تؤكد على أن المشكلات التي يعزوها الروس إلى المخدرات إنما تنتج، بشكل مباشر أو غير مباشر، لا عن تعاطي المخدرات نفسها، وإنما عن حظر المخدرات. وبالفصل بين تعاطي المخدرات وحظرها فحسب، وهو أمر لا يفعله أنصار الحظر بدقة، يمكن تقدير الرأي القائل بأن الأضرار الجانبية الخطرة للحظر تغطي على فوائد الانخفاض المزعوم في تعاطي المخدرات.

لا يحفل سجل حظر المخدرات إلا بحالات الفشل. ومن يتجول في شوارع موسكو (ولندن وواشنطن) يجد شواهد الفشل بادية للعيان أينما وقع بصره. وعلى الرغم من أن جهود المكافحة قد بلغت أعلى مستوياتها في التاريخ، فإن المخدرات منتشرة في كل مكان، ومتاحة لكل من يشتهي. ونجد اليوم أن معدلات إنتاج المخدرات وأرباح الاتجار بها قد بلغت رقما قياسيا، حيث يبلغ حجم تجارة استيراد وتصدير المخدرات (10%) من التجارة العالمية بما يكفي لملء جيوب طبقة لا تكف عن النمو من المجرمين العالمين.

لم تنجح كافة الاعتقالات وأحكام السجن في إيقاف تعاطي المخدرات أو تجارتها أو الجرائم المرافقة لفعاليات السوق السوداء المرتبطة بها. وفي السجنون نفسها نجد وفرة في كمية المخدرات ونسبة تعاطيها، ومهما فعلت إدارات السجنون فإنها عاجزة عن إيقاف تدفق المخدرات إليها، وهذا درس مهم لمن قد تسول له نفسه أن يحول روسيا، أو غيرها من الدول، إلى سجن كبير في سبيل إيقاف تعاطي المخدرات.

ثمة حقيقة مفزعة ومحزنة، ولكنها محتومة في الوقت نفسه، تخبرنا بأن (80%) من الوفيات المتعلقة بالمخدرات لا تنتج عن التعاطي، وإنما عن إجراءات الحظر، ولا غرابة

## خسارة الحرب على المخدرات

في هذا. ففي النهاية لا تخضع المخدرات إلى إجراءات ناظمة أو فحوص جودة أو التزامات المنتج. مما يجعل الآثار الصحية للتعاطي مسألة حظ بالنسبة للمدمنين. أضف إلى ذلك أن إصابة المدمن بالآيدز تعد قضية ناتجة بصورة حصرية عن الحظر. ذلك أن (50%) من المصابين الجدد بهذا المرض هم من متعاطي المخدرات باستخدام الإبر. أما الجانب المادي من الموضوع فيثير الذعر. فاستنزاف آليات الحظر لموارد الإنفاق العام يؤدي إلى الحيلولة دون التمكن من توفير ما يلزم من خدمات الاستشفاء وإعادة التأهيل وغيرها من الخدمات التي لا تلقى الدعم المالي الكافي.

هنا يطرح السؤال التالي: أليست المخدرات في أصلها أدوية مؤذية للصحة إلى درجة تجعل استخدامها محصورا بوصفة طبية؟ إن المخدرات القوية. كالهيروين والكوكائين. تترك أثرا ضارا لا يزول. وكذلك الاستعمال المديد للماريجوانا؛ وإذا أردنا أن نتكلم عن الجانب الطبي من مسألة المخدرات. فإن ملء السجون بالمدمنين لا معنى له. وإذا ما انتهت الحرب على المخدرات. فمن الممكن حينها أن يتم التعامل مع المدمن باعتباره مريضا. لا مرضا.

وإذا ما استعرضنا مسيرة الحرب على المخدرات يوما بيوم. يمكننا أن نستنتج بأن أكثر خسائرها الملموسة وضوحا يتمثل بالسلوك الإجرامي؛ فمعظم جرائم المخدرات هي جرائم متعلقة بحظر المخدرات أصلا. كما إن (90%) من جرائم المخدرات تنجم عن عدم مشروعيتها. لا عن التعاطي. وتعود كثرة جرائم المخدرات إلى أن كثيرا من المدمنين يقضون وقتهم في سرقة مبالغ كبيرة من المال بما يكفي لشراء ما يحتاجونه من مخدرات. وهنا يأتي السؤال: لماذا تصل أسعار المخدرات إلى أرقام كبيرة؟ والسبب الوحيد هو عدم مشروعيتها؛ فسعر الهيروين في الشارع يفوق بـ(50-100) مرة كلفة الاصطناع الكيميائي له. ولكن المخاطر التي يتحملها المزود والموزع تنعكس زيادة فادحة في الأسعار التي يدفعها المتعاطي.

## خسارة الحرب على المخدرات

إن تجارة المخدرات مثلها مثل الفراش القديم: عندما تضغطه من جهة يترد الضغط من جهة أخرى. والسبب في ذلك أن التعاطي لا يتأثر بالسعر أو العقوبة. إنما يحدث معظم المد والجزر في الطلب على المخدرات نتيجة عوامل اجتماعية لا علاقة لها بالجهود الحكومية. حيث يتأثر تعاطي المخدرات بالتقاليد الاجتماعية والتعليم والاقتناع بالمخاطر الصحية.

ويضاف إلى الآثار السلبية لحظر المخدرات: تغلغل الفساد في أوصال الشرطة والقضاء وموظفي الجمارك؛ وعلى الرغم من أن هنالك تغيرات قادمة في سياسة الدولة تجاه هذه المسألة. فإن وتيرة التغيير بطيئة لأن الكثير جدا من الموظفين والشرطة وحرس السجون تعتمد معيشتهم على هذه الحرب.

كما إن مؤيدي الحرب على المخدرات يعجزون عن دعم تأييدهم لحظر المخدرات بحجج تستند إلى ميزان الربح والخسارة؛ إذ ليس هنالك من دراسة تجريبية دقيقة تشير إلى أن الفوائد الاجتماعية والاقتصادية لحظر المخدرات تتفوق على أضرارها. ونشاهد اليوم كيف فشلت الحرب على المخدرات في خفض وتيرة التزويد. أو تخفيض الاستهلاك. وكيف أنها نجحت بالمقابل في ملء السجون. ومفاقمة أزمة الأيدز وملء جيوب مهربي المخدرات.

لقد عرّف سيغموند فرويد الجنون بأنه تكرار فعل الشيء ذاته مرة تلو الأخرى أملا بنتيجة مختلفة في كل مرة. وقد كشف الاستخدام المتكرر لأساليب الحظر عن فشل (في روسيا وغيرها) سوف يقود. لا محالة. إلى فشل أكبر وأعمق.